عنوان المحاضرة: المُتشدِّدون في الجرح والتعديل والاسباب الحاملة على التشدد

الشِدَّة في اللغة هي : الصلابة ، وهي : نقيض اللين ، وتكون في الجواهر والأعراض ، والتشديد خلاف التخفيف.

ونستطيع أن نفهم من عبارات المحدِّثين أن المراد بالتشديد في الجرح والتعديل عندهم هو :

الإسراف والتعنُّت في الجرح بحيث يجرح الناقد الراوي ويرد رواياته من أجل هفوةٍ يسيرة ، أو ذنبٍ صغير ، أو خلافٍ سائغ في المُعتقد ، أو الأحكام فيجرح المتشدد الراوي بأدنى جرح ، ويُطلق عليه ما لا ينبغي إطلاقه .

فالمُتشدد هو : من يغمز الراوي بالغلطتين والثلاث ، ويجرحه بأدنى جرح ، ويلين بذلك حديثه .

والوصف بالتشدد أو بالاعتدال أو بالتساهل إنما يكون باعتبار الغالب من حال الناقد وأقواله وأحكامه على الرجال .

وذلك أن بعض المتشددين قد يعتدل أو يتساهل ، وبعض المُعتدلين قد يتشدد أو يتساهل ، وبعض المُتساهلين قد يتشدد أو يعتدل ، وإنما يُوصف الراوي بأحد هذه الأوصاف باعتبار الأغلب الأعم من أحكامه ، ولذلك كان التعامل مع أحكام العلماء على الرواة عسِر ، ولا يكمُل له إلا القليل من علماء هذا الفن . وقد أدرك العلماء خطورة التشدد في هذا الباب لمنافاته العدل والإنصاف وحذَّروا من الوقوع فيه .

قال الحافظ ابن حجر : وليحذر المتكلم في هذا الفن من التساهل في الجرح والتعديل ، فإنه إن عدّل أحداً بغير تثبت كان كالمثبت حكماً ليس بثابت فيُخشى عليه أن يدخل في زمرة من روى حديثاً وهو يظن أنه كذب ، وإن جرح بغير تحرزٍ أقدم على الطعن في مسلمٍ بريء من ذلك ووسمه بميسم سوءٍ يبقى عليه عاره أبداً .

فإذا تشدَّد الناقد وجرح الراوي وردَّ روايته لوقوع خطأٍ قليلٍ منه فلن يسلم له من الرواة أحد فمن ذا يسلم من الخطأ .

قال وكيع : ومن يسلم من الغلط ؟ .

وقال ابن المبارك : من ذا سلم من الوهم ؟ .

وقال يحيى بن معين : لست أعجب ممن يُحدِّث فيُخطئ وإنما أعجب ممن يحدث فيُصيب .

وقال الإمام الذهبي مخاطباً للعقيلي وهو أحد المتشدِّدين في هذا الباب : أشتهي أن تُعرِّفني من هو الثقة الثبت الذي ما غلط ولا انفرد بما لا يُتابع عليه ؟ ... حتى قال : ثم ما كل من فيه بدعة أو له هفوة أو ذنوب يُقدح فيه بما يُوهِن حديثه ولا من شَرْط الثقة أن يكون معصوماً من الخطايا والخطأ .

وقال ابن حجر : لو كان كل من روى شيئاً منكراً استحق أن يُذكر في الضعفاء لما سلِم من المحدثين أحدٌ لاسِيَّما المُكثر منهم .

وقال أحمد بن حنبل : من يعرى من الخطأ والتصحيف .

ومن خطورة التشدد أنه يجعل قول صاحبه ساقطاً ، وحكمه مردوداً مع إمامته وديانته .

قال الإمام السخاوي : ولوجود التشدد ومقابله –أي التسامح– نشأ التوقف في أشياء من الطرفين ، بل رُبَّما رُدَّ كلام كل من المعدل والمجرح مع جلالته ، وإمامته ، ونقده ، وديانته إما لانفراده عن أئمة الجرح والتعديل أو لتحامله .

الأسباب الحاملة لبعض العلماء على التشدد

التشدد نوعان :

النوع الأول : تشددٌ عام بحيث يكون الناقد مُسرفاً متعنِّتاً في جرح جميع الرواة ولهذا التشدد أسباب كثيرة من أهمها :

١– الطبيعة البشرية التي تغلُب على الناقد بحيث يميل طبعه إلى التشدد ، وينفر من التساهل والاعتدال ، ولله في خلقه شؤون ، وما أحسن تعبير الإمام الذهبي عن المتشدد بأنه : حاد النفس .

٢- المبالغة في الحرص على صيانة السنة ، ورد الضعيف ، ونفي المكذوب ، والأخذ بالأحوط بحيث يحمله الحرص على ذلك على تجريح الرواة بالقليل من الوهم أو النسيان أو الوقوع في الذنب والخطأ ، فلا يكاد يُوثِّق أحداً ، ومن ذا يسلم من الخطأ ؟ .

٣- عدم معرفة الراوي معرفةً شخصية فيقبل ما نقل إليه عنه من غير بحثٍ وتدقيق مع إساءةٍ للظن به والبناء على القرائن المُتوهَّمة ، ومثال ذلك : رد الحكم بن عتيبة لحديث زاذان فلما سُئِل عن ذلك قال : كان كثير الكلام فبنى على كثرة كلامه كثرة وقوع الخطأ منه .

قال السخاوي : ولعله استند إلى ما رُوي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : " من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ، ومن كثرت ذنوبه فالنار أولى به " .

قال السخاوي : وهذا ليس بلازم ولا مطرد ، ولا بمثله تُرد أحاديث الرواة .

٤- عدم معرفة ما يُصيِّر الراوي مجروحاً مردود الرواية فيجرحه الناقد الورع بما لا يُجرح الرواة بمثله ، أو يُرتِّب على فعله ما لا يلزم سُئل شعبة بن الحجاج لم تركت حديث فلان ؟ قال : رأيته يركض على برذون فتركته ، ومن المعلوم أن الرواة لا يُجرحون بمثل هذا ، ولعل شعبة فهم مما رآه أن فيه شيئاً من الكبر وهذا ليس بلازمٍ مطلقاً .

النوع الثاني : من التشدد هو : التشدُّد الخاص بحيث يكون الناقد معتدِلاً مُنصِفاً مع الرواة إلا مع رواة مخصوصين ببلد أو صفة ، والسبب وراء ذلك هو : نوعٌ من الهوى يجعل الناقد يبغض أهل بلدٍ معين – كالجوزجاني مع أهل الكوفة – أو يتحامل على أتباع مذهبٍ معين – كنعيم بن حماد مع أهل الرأي – أو اعتقادٍ معين – كابن خراش وابن عقدة مع أهل السنة – فيحمله هذا البغض أو هذه المخالفة على التشدد في جرحهم .

قال الإمام الذهبي : وقد يكون نَفَسَ الإمام فيما وافق مذهبه أو في حال شيخه ألطف منه فيما كان بخلاف ذلك .

قال ابن حجر مبيناً أسباب الخطأ في الجرح : والآفة تدخل في هذا تارةً من الهوى والغرض الفاسد وكلام المتقدمين سالمٌ من هذا غالباً ، وتارةً من المخالفة في العقائد ، وهو موجود قديماً وحديثاً.

وقال الشيخ محمد عبد الحي اللكنوي : واعلم أن من النقاد من له تعنت في جرح أهل بعض البلاد ، أو بعض المذاهب ، لا في جرح الكل ، فحينئذٍ يُنقَّح الأمر في ذلك الجرح .